مجلـــــة العلـــــوم التربـــــوية والدراســـــات الإنســـــانيــــة
ISSN: 2709-0302 (online)

Humanities and Educational Sciences Journal
ISSN: 2617-5908 (print)

أساليب الشعر الشعبي العباسي في ديوان أبي الشمقمق(*)

د/ أمل بنت عبدالله الهويريني
أستــاذ الأدب والنقد المساعـد
جامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن بالرياض
aalhuweireni@pnu.edu.sa

*) تاريخ تسليم البحث 20/1/2022 تاريخ قبوله للنشر 7/2/2022
*) موقع المجلة: http://hesj.org/ojs/index.php/hesj/index

أساليب الشعر الشعبي العباسي في ديوان أبي الشمقمق

د/ أمل بنت عبدالله الهويريني
أستـاذ الأدب والنقـد المساعـد
جامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن بالرياض

الملخص

تناول هذا البحث ديوان أبي الشمقمق الشاعر الشعبي العباسي، بهدف الكشف عن السمات الأسلوبية اللغوية والبلاغية التي تعكس الشعر الشعبي في العصر العباسي، وظهر أن ديوان أبي الشمقمق مثل الطبقة الشعبية بأساليب متنوعة من حيث سهولة الألفاظ والتنويع في الأساليب الخبرية مثل التقديم والتأخير والحصر والنفي والاستدراك لتوكيد المعاني ويختار أحيانا التعبير بالأساليب الإنشائية مثل الاستفهام والنداء والشرط، وهذه الأساليب في موضوعاته الشعرية المحصورة في وصف فقره وبيئته الاجتماعية والمدح والهجاء والمدح للاستجداء، وقد اعتمد أبو الشمقمق – من الناحية البلاغية – على الصورة بالتشبيه والاستعارة والكناية، كما برز الاقتباس سمة أسلوبية في الديوان. ومن خلال السمات الأسلوبية المختلفة تجلت روح أبي الشمقمق الساخرة.

الكلمات المفتاحية: الشعر الشعبي، أبو الشمقمق، الأسلوبية.

Abbasid folk poetry In the Diwan of Abu al-Shammaq

Prepared by
Amal Abdullah Ali Al-Hawerini
Assistant Professor of Literature and Criticism at Princess Nora bint Abdulrahman University

Abstract

This study deals with the Diwan of Abu Al-Shamkmak, the Abbasid folk poet, with the aim of revealing the stylistic and rhetorical features that reflect the folk poetry of the Abbasid era. It appeared that Al-Shamakmak's Diwan reflects the public class in various styles and many topics in description, praise, satire, and begging.

The ironic tone was the dominant artistic feature in his Diwan.

Keywords: Folk poetry, Abu shamkmak, stylistic.

المقدَّمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي محمد وأصحابه والتابعين لهم إلى يوم الدين، الشعر العباسي معين لا ينضب للدراسات الأدبية والنقدية، وقد توجه هذا البحث إلى دراسة الشعر الشعبي العباسي وهو جانب قلت حوله الدراسات، ثم إن سيرة الشاعر العباسي في كتب التراث الأدبي توضح الطبقة الشعبية التي عاشها وعبر عن تفاصيلها، فالهدف الأول للبحث هو الوصول من خلال دراسة ديوانه إلى أساليب الشعر الشعبي العباسي.

مشكلة البحث:

ما الشعر الشعبي العباسي؟

ما دور أساليب أبي الشمقمق في توضيح مفهوم الشعر الشعبي؟

أهمية الموضوع وسبب اختياره:

تكمن أهمية الموضوع في أنه محاولة لفهم دور الأساليب الفنية في التعرف على شخصية الشاعر وفكره ومجتمعه، ومحاولة توظيف المناهج النقدية الحديثة في دراسة الشعر العربي القديم.

أهداف البحث:

١- توضيح مفهوم الشعر الشعبي العباسي.

٢- الكشف عن شخصية أبي الشمقمق الأدبية والشعبية من خلال دراسة أساليبه.

٣- التعرف على بعض جوانب حياة الطبقة الشعبية التي عاشها أبو الشمقمق.

منهج البحث:

اعتمد البحث على منهج "الأسلوبية" وسيفرد مقالاً في المبحث الأول لتوضيح مفهوم "الأسلوبية"، والعلاقة بين هذا المنهج النقدي الحديث والنقد العربي القديم.

خطة البحث:

المقدمة: التعريف بالموضوع وأهميته وأهداف ومنهجه.

المبحث الأول:

- نبذة عن الشاعر أبي الشمقمق.
- مفهوم الشعر الشعبي.
- مفهوم منهج "الأسلوبية".

المبحث الثاني: الأساليب اللغوية.

المبحث الثالث: الأساليب البلاغية.

الخاتمة.

المصادر والمراجع.

الدراسات السابقة:

من الدراسات السابقة حول الشعر الشعبي وشعر أبي الشمقمق:

شلبي: سعد (د.ت)، الشعر العباسي – التيار الشعبي، مكتبة غريب القاهرة، موضوع الكتاب عاما للعصر العباسي.

الصباغ: مرسي (د.ت) قراءة جديدة في الشعر الشعبي العربي، دار الوفاء، الإسكندرية، نصار، حسن (١٩٨٢) الشعر الشعبي العربي، دار الرائد العربي، بيروت. دراسة عامة للشعر الشعبي العربي.

بوذيبة: لندة (٢٠١٠-٢٠١١) شعر الشعراء الشعبيين في العصر العباسي الأول دراسة في المضمون والأداة (أبو الشمقمق أنموذجاً) رسالة ماجستير، الجزائر، جامعة العربي بن المهيدي (الرقم التسلسلي ٦٠٠٣٨١).

المصري: د. عباس، ايلول٢٠١١، تجليات الفقر في شعر أبي الشمقمق، مجلة جامعة القدس المفتوحة، العدد الخامس والعشرون.

والدراستان الأخيرتان تمثل دراسة موضوعية للشعر الشعبي عامة وشعر أبي الشمقمق، أما هذا البحث فيركز على الدراسة الأسلوبية في ديوان أبي الشمقمق.

المبحث الأول

أ- ترجمة موجز للشاعر أبي الشمقمق:

اسمه ونسبه: مروان بن محمد، من موالي مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية، نشأ في البصرة، ويكنى أبا محمد ويلقب بأبي الشمقمق، كان سيئ الحظ، لازمه الفقر حتى مماته، كانت علاقة جيدة بشعراء عباسيين منهم بشاربرد وسلم الخاسر، وأبو الشمقمق شاعر شعبي خرج على التقاليد الشعرية من حيث المعنى والأسلوب(١).

ب- مفهوم الشعر الشعبي:

الشعر الشعبي هو الذي عبر عن طبقات عامة الشعب وبعيد عن بلاط الخلفاء فهو يختلف عن الشعر الرسمي، وبعبارة أخرى هو الصورة الصافية الدقيقة للأدب الذي يصور مشاعر الشعب وأفكاره وتوجهاته ويعكس مستوياته الحضارية(٢) ومن مزايا الشعر الشعبي حفظه للروح الشعبية فاللغة تمثل روح الناطقين بها(٣) ولغة الشعر الشعبي العربي هي لغة الشعر العربي عامة وهذا يظهر بوضوح في حياة العرب في كل العصور، وهناك من ينظر للشعر العربي الشعبي نظرة ازدراء ومنهم من يهمله لسوء فهمه لطبيعة الشعر الشعبي، والحق أنه يصور حياة العرب عن قرب وبدقة.

جـ- مفهوم الأسلوبية:

قامت الدراسة في هذا البحث على منهج "الأسلوبية" منهج نقدي نشأ حديثا منطلقا من علم اللغة ثم توطدت علاقته بالدراسات النقدية والبلاغية، والدراسة الأسلوبية عملية نقدية، ترتكز على الظاهرة اللغوية، وتبحث في أسس الجمال المحتمل قيام الكلام عليه، أما النقد فيعتمد في اختياره عنصري الصحة والجمال، فالأسلوبية مرحلة وسطى بين علم اللغة والدراسة الأدبية، والصلة وثيقة بين الأسلوبية والنقد الأدبي فكل منهما يصف ويحلل ويرتب(٤).

والأسلوبية هي تحليل لغوي موضوعة الأسلوب وشرطه الموضوعية وركيزته الألسنية(٥).

والأسلوبية منهج حديث وله جذور في التراث النقدي العربي بما يعرف بالأسلوب الذي عرّفه ابن خلدون بأنه "المنوال الذي ينسخ فيه التراكيب أو القالب الذي يفرغ فيه"(٦).

ومن معاني الأسلوب أنه طريقة الكتابة أو طريقة الإنشاء، أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير(٧).

---

(١) انظر: ديوان أبي الشمقمق، تحقيق: د. واضح عبدالصمد، دار الكتب العلمية ص(١٣-٢٣).
(٢) نصار، حسين (١٤٠٢-١٩٨٢) الشعر الشعبي العربي، دار الرائد العربي، بيروت، ص١٤.
(٣) شلبي، سعد (د.ت) الشعر العباسي، مكتبة غريب القاهرة، ص١٥٦.
(٤) أبو العدوس، د. يوسف (١٤٢٧-٢٠٠٧)، الأسلوبية، دار المسيرة، عمان، الأردن، ص٥٢، ٥٦.
(٥) شريم، جوزيف ميشال (١٤٠٧-٩٨٧) دليل الدراسات الأسلوبية، المؤسسة الجامعية، بيروت، ص٣٧.
(٦) ابن خلدون عبدالرحمن (د.ت)، المقدمة، دار البيان، ط١، ص٥٧٠/١.
(٧) الشايب: أحمد (١٤٠٨-١٩٨٨) الأسلوب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص٤٤.

ومن هذه الشروحات حول الأسلوبية يتضح أنه مصطلح يرادف ويماثل لفظ الأسلوب.

أما عن وظيفة هذا المنهج فهو التحليل الأسلوبي ويتعامل مع ثلاثة عناصر:

١-العنصر اللغوي، إذ يعالج نصوصا قامت اللغة بوضع شفرتها.

٢-العنصر النفعي، الذي يؤدي إلى أن تدخل في حسابنا مقولات غير لغوية مثل المؤلف والقارئ والموقف التاريخي وهدف الدراسة وغيرها.

٣-العنصر الجمالي الأدبي، ويكشف عن تأثير النص على القارئ والتفسير والتقييم الأدبيين له"[١].

المبحث الثاني

الأساليب اللغوية

توجه هذا البحث إلى النظر في الأساليب اللغوية من ناحية الألفاظ وتأليفها للإفصاح عن معاني الشاعر وبعد الألفاظ سينظر البحث في الأساليب الخبرية والإنشائية فهي القالب الفني الذي يصب فيه الشاعر فكره وشخصيته.

فإذا كانت الألفاظ هي أول أداة لغوية في النص فالحكم الأدبي والنقدي يقصد لدراسة الألفاظ أولا، ومنذ القراءة الأولى لديوان أبي الشمقمق تظهر سهولة الألفاظ ووضوحها فلا تحتاج إلى معجم لتفسيرها، ولم تكن ألفاظه جزلة متينة، وتلك السهولة على مستوى لغوي راقٍ في أغلب الديوان، من ذلك قوله[٢]: (الوافر)

فمنزلـــيَ الفضـــاءُ وسَـــقْفُ بيتـــي ســـماء الله أو قطـــع السّـــحابِ

ومما يدل على حسن تصرفه بالألفاظ ببساطة روحه الفنية وسرعة بديهته اقتباسه الهجاء من اسم المهجو في مثل قوله[٣]:

(مجزوء الكامل)

كنـــــتَ المـــــمزّق مـــــرةً فـــاليوم قـــد صـــرت الممـــزّقْ

لمّـــا جَرَيْـــتَ مـــع الضّـــلالِ غَرِقْـــتَ فلـــي بحـــر الشـــمقمق

بأسلوب بسيط يسخر من المهجو مقتبسا من اسمه صفة الذم وهي التيه والتمزق ثم في البيت الثاني يبالغ في السخرية مشتقا اسمه الشمقمق فهو بحر السخرية بهدف الإضحاك والتندر كحال الشعر الشعبي غالبا الذي يأتي سهلا فكاهيا يعبر به أفراد الشعب عن أنفسهم المتعبة ومجتمعهم المكدود[٤].

(١) فضل: د. صلاح (١٤٠٥-١٩٨٥) علم الأسلوب، دار الآفاق الجديدة، بيروت ط١، ص١١٥.
(٢) الديوان، ص٢٧.
(٣) الديوان، ص٧٢.
(٤) انظر: شلبي سعد إسماعيل، ص١٤٣.

تناثرت في قصائد أبي الشمقمق ألفاظ أعجمية منها المعرب ولم يكن هذا غريبا فعامة الشعب العباسي اختلطوا بغيرهم من الأمم الأخرى، فمن الألفاظ التي وردت في ديوانه: (كورة والتقماز) في قوله[١]: (الخفيف)

مـــا أرانـــي إلا ســـأترك بغـــدا د وأهـــوي لكـــورة الأهـــواز
حيـث لا تنكـر المعـازف واللهـ ـو وشـرب الفتـى مـن التقمـاز

وقوله[٢]: (الوافر)

ولا حاســـبت يومـــا قهرمانـــا محاســبةً فــأغْلظُ فــي حســابي

والقهرمان: المسيطر الحفيظ على من تحت يده، اختار لفظا فارسيا لرغبته بتغيير حياته ساخرا من أنه لا يملك أيا من مظاهر الرفاهية مثل ملك الخدم ومحاسبتهم.

ومما يوضح المستوى الثقافي في ديوان أبي الشمقمق أيضا كثرة أسماء الحيوانات بخصائصها العلمية مثل الفيل والخنزير والكلب والحشرات والفأر والسنور والبرغوث وابن عرس والطيور ومما يشهد له بذلك استشهاد الجاحظ في كتاب (الحيوان) بستة عشر شاهدا شعريا من أبيات أبي الشمقمق[٣].

ومن ناحية الألفاظ يؤخذ على ديوان أبي الشمقمق كثرة الألفاظ البذيئة والفاحشة في وصف فقره وفي هجائه البخلاء والثقلاء، وتكثر هذه الخاصية في هجائه للشعراء لابتزازهم بدافع الاستجداء فيعطوه المال مداراة لسلاطة لسانه[٤].

الأساليب الخبرية: نوع أبو الشمقمق بين الأسلوب الخبري والإنشائي ولا تكاد تخلو قصيدة أو مقطوعة من المزج بين الأسلوبين، ومن أدوات الأسلوب الخبري التي تجلت في الديوان النفي، والنفي مع الحصر، والنفي مع الاستدراك، أبو الشمقمق شاعر شعبي ساخر من سوء حاله وفقره ويسخر مثيرا الضحك على داره البائسة، كما يسخر متهكما بالبخلاء والثقلاء، حتى إذا نظم شعرا بهدف الاستجداء لا يخلو من السخرية، فقد قال مستجديا مسخرا أسلوب النفي مع الحصر[٥] (مجزوء الكامل)

ولـــقد غـــدوتُ ولـــيس لـــي إلا مـــديحك مـــن تجـــارهْ

(١) الديوان، ص٦١.
(٢) الديوان، ص٦١.
(٣) الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر(١٤١٦-١٩٩٦)، تحقيق: عبدالسلام هارون، الحيوان، دار الجيل، بيروت، حـ ٤٦٦/٧.
(٤) الشواهد كثيرة في الديوان ص٩١، ٩٢، ٩٣.
(٥) الديوان، ص٥٣.

بحرف التحقيق (قد) والنفي ثم الحصر يلقي بثقيل همّه، وشدة عوزه وبسخرية من تجارته.

ويتكئ أبو الشمقمق على النفي والحصر في حسرته على حال العرب والموالي بزمانه فقال[١]: (مجزوء الكامل)

ذهب الموال فلا موا ل وقد فجعنا بالعرب
إلا بقايا أصبحوا بالمصر من قِشِ القَصَبْ

ينفي وجود العرب والموال ويعني الأخيار منهم ثم يستثني موهما بوجود الطيبين مؤكدا بسخرية عميقة هجاءه في البيت السابق فالبقية المستثناة قشور ومخلفات لا فائدة ولا خير فيها.

ومن الأساليب الخبرية أيضا النفي مع الاستدراك بـ (لكن) جاء في هجائه لمضيفه حيث قال[٢]: (الوافر)

وما روحتنا لتذبَّ عنا ولكن خفتَ مَرْزِئَةَ الذُّبابِ

هجاء مقذع وذم بأسلوب فني أدواته النفي عن دافع الضيافة فليست كرما والعلة بعد الاستدراك بـ (لكن) أنه خاف من حرمان الذباب أن يأكل من هذا الطعام النتن، هجاء ساخر فكاهي تظهر جرأة أبي الشمقمق في هجاء البخلاء في مجالسهم.

أدوات النفي لكل منها معنى وخصائص وقد انتقى أبو الشمقمق الأدوات بدقة لغوية فانساقت في شعره الساخر تكشف المعنى مع الشعور في مثل اختيار (لم) متحسرا على حاله ساخرا من فقره بقوله[٣]: (الوافر)

برزتُ من المنازل والقباب فلم يعسر على أحدٍ حجابي

(لم يعسر) لم: تقلب معنى الفعل المضارع إلى الماضي وهنا معنى بأسلوبه الساخر يوحي بأن داره مكشوفة ومن حيث الزمان فهذا حاله في الماضي والحاضر، ثم يتابع أبو الشمقمق النفي بـ (لا) نافيا كل مظاهر الحياة في بيته:

ولا أنشق الثرى عن عود تخت أؤمَّل أن أشدَّ به ثيابي
ولا خفت الإباق على عبيدي ولا خفت الهلاك على دواجي

ومن الأساليب الخبرية التقديم والتأخير وظفها أبو الشمقمق في بعض شعره، في مثل تقديم جواب الشرط على أداة الشرط وفعله إمعانا في الهجاء بقوله[٤]: (الكامل).

هيهات، تضرب في حديد باردٍ إن كنتَ تطمعُ في نوالِ سعيد

(١) الديوان، ص٣٠.
(٢) الديوان، ص٢٩.
(٣) الديوان، ص٢٧.
(٤) الديوان، ص٣٧.

بدأ بـ (هيهات)اسم الفعل بمعني بَعُدَ، وتقديم جواب الشرط (تضرب في حديد بارد) ليخلع صفة البخل ظاهرة جلية على المهجو.

وفي سخريته من حاله وحسرته على بيته يعزي نفسه بأن بؤسه سيجلب له راحة البال فيقدم شبه الجملة (في ذا) في قوله[١]: (الوافر)

ولا انشق الثرى عن عود تخت أؤمل أن أشد به ثيابي
ولاخفت الإباق على عبيدي ولا خفت الهلاك على دوابي
وفي ذا راحتي وفراغ بالٍ فداب الدهر ذا أبدا ودابي

عرض مظاهر فقره ثم أشار إلى كل ما فقده بإيجاز قائلا: (وفي ذا) مقدما شبه الجملة لتقرع الذهن لاستيعاب حاله وشعوره بالألم.

إذا كان التنويع بأدوات الأسلوب الخبري أفصح ببلاغة عن مشاعر وموقف أبي الشمقمق في الشواهد السابقة وفي كثير من شعره، فقد يضعف مستوى شعره لغويا وإن اعتمد بالنفي والحصر وغيره كما في قوله[٢]: (الرمل).

أنا بالأهواز جار لعمر لعظيم زعموا ضخم الخطرْ
لا يرى منه علينا أثرٌ لا يكون الجود إلا بأثرْ

استخدم النفي والحصر وموضوعه هنا الهجاء تجرد من الفنية فلا أثر في المعنى؛ قد يكون إخفاقه لضعف الفكرة التي يريد عرضها.

الأساليب الإنشائية:

لا يخفى دور الاستفهام والأمر والشرط والنداء وغيرها من الأساليب الإنشائية في نقل المعاني والمشاعر والانفعالات، وكثرت الأساليب في ديوان أي الشمقمق في موضوعات الشعر المختلفة في وصف فقره وفي الهجاء، والمدح – مع قلته – وكانت أبرز أداة تجلت في ديوانه (لو) الشرطية ومعروف معناها فهي تفيد امتناع جواب الشرط لامتناع فعله، فاتكأ عليها أبو الشمقمق في إطلاق زفراته وحسرته على سوء حظه والنحس الملازم له إذ قال[٣]: (الخفيف).

لو ركبتُ البحار صارتْ فجاجا لا ترى في متونها أمواجا
ولو انْي وضعتُ ياقوته حمـ ـراء في راحتي لصارت زجاجا
ولو انْي وردتُ عذبا فراتا عاد لا شك فيه ملحا أجاجا

(لو) مع التكرار أحدثت نغما حزينا بل دفقة حسرة مؤلمة ومؤثرة.

(١) الديوان، ص٢٨.
(٢) الديوان، ص٥٧.
(٣) الديوان، ص٣٣.

كما استعان أبو الشمقمق بأداة الشرط (لو) مع القسم ليرسم المهجو بأبشع صور البخل ساخرا متهكما فقال[1]: (الكامل)

والله لــو ملــك البحــار بأســرها وأتــاه سَــلْم فــي زمــان مــدود
يبغــيه مــنها شــربةً لطهــوره لأبــى وقــال تــيممن بصــعيدِ

بدأ بالقسم ثم (لو) ليطلق للخيال العنان في سعة ملك المهجو حتى مياه البحار (جمعها ثم أكد بأسرها) ثم الوصف(مدود) أي زمن تدفق المياه، يكاد المهجو يحرم الناس من أبسط حقوقهم وهو الوضوء بها.

ومن أساليب الإنشاء (النداء) و (الأمر) تناثرت في قصائد أبي الشمقمق في سخريته مثل قوله[2]: (المنسرح)

يــا طــول ليلــي وطــول ليلتــه فلــــيهنَ برغوثــــه بجذلتــــه

ليله حزين متثاقل في داره الخالية من أسباب السعادة والراحة وزاد ثقلا برفقة البرغوث الذي يقضي ليله يتغذى من جسد ابي الشمقمق كما صرح بذلك في أبيات كثيرة مثيرا التناغم الوجداني مع بؤسه.

ويبدو الأثر الفني لأسلوب أبي الشمقمق بنقل المتلقي إلى ساحة داره ليشعر ببؤسه وليشاركه معاناته، فكثافة الأساليب والتنويع بين الخبر والإنشاء مثل النفي والاستفهام والشرط إذا اجتمعت، وقد أحسن توظيفها في مثل وصفه لحال عياله بقوله[3]: (السريع)

مــا جمــع النــاس لدنيــاهم أنفــع فــي البيــت مــن الخبــز
والخبــز باللحــم إذا نلتــه فأنــت فــي أمــن مــن التــرز
فلــو رأوا خبــزا علــى شاهــق لأســرعوا للخبــز بالجمــز
ولــو أطــاقوا القفــز مــا فــاتهم وكيــف للجــائع بالقفــز

اعتمد هنا أبو الشمقمق على أساليب تعكس شعوره بالبؤس افتتح بحكمة يوضح فيها أهمية الخبز ليستحضر الذهن أبسط أنواع الغذاء ومع بساطة الحصول عليه إلا أن أبناءه حرموا منه، ثم عبر بالصورة التمثيلية فالجوع أعجزهم عن البحث والسعي متحسرا وباكيا مستبكيا، ثم تكرار الأداة (لو) التي تفيد معنى امتناع الجواب لامتناع الشرط، ثم يثير الحزن بسؤال إنكاري (وكيف للجائع بالقفز) وصفه هنا دقيق مؤثر يستدر الدمع، ودافعه القوي الاستجداء لذا حشد كل تلك المؤثرات الأسلوبية المثيرة للخيال والتفاعل لتقديم سبل العون من المخاطب.

(١) الديوان، ص٣٣.
(٢) الديوان، ص٣٧.
(٣) الديوان، ص٥٩.

وقد ينتقي أبو الشمقمق الأساليب الإنشائية بشواهد أخرى لم يكن لها تأثير فتمر فلا تثير ذهنا ولا عاطفة ذلك أنه لم يحسن اختيار الموضوع فتبدو الأساليب الإنشائية علامات بلا روح في مثل هجائه لبخيل بقوله[١]: (المجتث)

لمـــــا سألتـــــك شيـــــئا أبـــــدلتَ رشـــــدا بغـــــيَّ
ممـــــن تعلمـــــت هـــــذا أن لا تجـــــود بشـــــيءِ
أمـــــا مـــــررت بعـــــبد لعبـــــد حـــــاتم طيـــــنَّ

أداة الشرط (لما) واستفهام بـ من والهمزة لكن ليست بذات أثر؛ فالأسلوب هنا بسيط جدا.

وبعد، فقد وظف أبو الشمقمق الأساليب الخبرية والإنشائية في ديوانه فظهرت شخصيتة الشاعرة الساخرة حاله ومن بعض الظواهر الاجتماعية في مجتمعه كالبخلاء والثقلاء، وهذا هو دور علم الأسلوب الذي "يثمن التناغم المستسر بين التعبير اللغوي والعمل الفني بأكمله ليصل بالمتلقي إلى شخصية المؤلف"[٢].

المبحث الثالث

الأساليب البلاغية

ركب أبو الشمقمق متن الخيال فعبر بالكناية وبالاستعارة والتشبيه عن مواقفه ورؤاه من الي يدور حوله في الهجاء والمدح فقد يتكئ على الكناية في هجاء مقذع فيقول[٣]: (الطويل).

ومحتجـــب والنـــاس لا يقربونـــه وقد مات هزلا من وراء الباب حاجبه
إذا قيل: مَنْ ذا مقبلا؟ قيل: لاحد وإن قيل: من ذا خلفة؟ قيل: كـاتبـه

كناية عن البخل فالمهجو منعزل مع نفور الناس منه، وحاجبه هزيل، ثم هيئة هذا المهجو توحي بأنه في مقبرة فقوله (لاحد) وهو من يجهز اللحد للموتى، صورة دقيقة وبعبارة موجزة موحية بأبشع صور البخل، وتعكس موقف أبي الشمقمق مع البخلاء في زمانه.

وبالكناية أوحى بخلو بيته من الطعام بوصفه للأواني الفازغه، فقال[٤]: (الخفيف).

وإذا العنكبـــوت تغـــزل فـــي دنـــيَّ وحبَّـــــي والكـــــوز والقرقـــــارهْ

غزل العنكبوت لقلة استعماله هذه الأواني وعدّدها وكأنه ينظر لعمل العنكبوت وقد ضاقت به الحيلة حتى أمام بيت العنكبوت وهو أضعف البيوت نسجا، أسلوب الأسى والحسرة هو أسلوب حياة أبي الشمقمق وتجلى في ديوانه، ممثلا حال الفقراء في مجتمعه.

(١) الديوان، ص٣٧.
(٢) فضل: د. صلاح، ص٦٥.
(٣) الديوان، ص٣٠.
(٤) الديوان، ص٥٥.

لم يسلم الثقلاء من سخرية أبي الشمقمق فصور أحدهم بقوله[١]: (الرمل)

أســـمج النـــاس جمعيـــا كلهـــم كـــذباب ســـاقط فـــي مرقـــهْ

وصف الثقيل بالسماجة ويؤكد (جميعا كلهم) ثم بالتشبيه المنفر والمثير للاشمئزاز بوحي بثقل المهجو وينبئ عن روح أبي الشمقمق الساخرة.

كما تربص خيال أبي الشمقمق للبخلاء فالتقط لهم صورا ساخرة تهكمية، فقال في بخيل[٢]: (البسيط).

يَبْسُ اليدين فما يسطيع بسطهما كـــأنَّ كفيـــه شُـــدَّ بالمســـاميرِ

لوحة فنية بظلال السخرية الفكاهية فكفية محكمة القبض وشناعة البخل أفصحت عنها الألفاظ (شد وبالمسامير) مؤازرةً للصورة.

كذلك جاءت كف البخيل المهجو بسخرية أعمق بلوحة فنية ثانية قال فيها أبو الشمقمق[٣]: (السريع).

كفـــاه قفـــل ضَـــلَّ مفتاحـــه قـــد يـــئس الحـــداد مـــن فتحـــه

شبه كفي البخيل بالقفل وجودة الصورة بالمبالغة قد أعجز الحداد، فظاهرة البخل أرهقت أبو الشمقمق فانتقى أبشع الصور معبرا عن موقفه الكاره للبخلاء والبخل.

كانت الصور السابقة ثابتة توحي بمواقف أبي الشمقمق من البخلاء، ولم يكتف أبو الشمقمق بتلك الصورة الثابتة، بل النقط بخياله صورا متحركة متعددة العناصر، فوصف فقره حينا، وعكس معاناته بسلاطة لسانه من البخلاء والثقلاءأحايين أخرى، فمن الصور المتحركة التي تصف سوء حياته في داره قوله[٤]: (مجزوء الرمل)

نـــــزل الفـــــأر بيـــتـــــي رُفْقَـــــةً مـــــن بعـــــد رُفْـــــقهْ

حلقـــــا بعـــــد قطـــــار نـــــزلوا بالبيـــــت صفقـــــهْ

ابـــــن عـــــرس رأس بيتـــــي صـــــاعدا فـــــي رأس بنقـــــهْ

سيفُـــــهُ ســـــيف حديـــــد شقَّـــــه مـــــن ضـــــلْعِ سِلْقَـــــهْ

جـــــاءنا يطـــــرقُ بالـــــليل فـــــدق البـــــاب دقَّـــــــهْ

دخـــــل البيـــــت جهـــــارا لـــــم يـــــدع فـــــي البيـــــت فِلقَـــــهْ

وتـــتـــــــرس برغيـــــــف وصـــــفقْ نازويـــــه صـــــفقهْ

صـــــفقة أبصـــــرت منهـــــا فـــــي ســـــواد العـــــين زرقـــــهْ

(١) الديوان، ص٧٤.
(٢) الديوان، ص٤٥.
(٣) الديوان، ص٣٦.
(٤) الديوان، ص٧٢.

نزل الفأر جماعات متماسكة وبقوة دار أبي الشمقمق، ويصور ساخرا من ضعفه أمام هذه المسيرة ويسهب بالوصف ويذكر اسم الفأر (ابن عرس) وهو من أكلة اللحوم ولم يجد في دار أبي الشمقمق إلا الخبز فتترس به صورة ساخرة ويمضي منتقلا في الدار بلا مدافع فالبيت خالٍ من الطعام ودور أبي الشمقمق التأمل فيما يجري بلا ردة فعل، حتى يظن المتلقي أن هذه الصورة المليئة بالأحداث الهدف منها إظهار فنية الشاعر وقدرته على بعث الحركة والتأثير في الصوره الخيالية، "فالشاعر باستخدامه الخيال بتعمق في الواقع ويغوص فيه"(١).

ولا يسأم أبو الشمقمق من السخرية من بؤسه، فالمشهد التمثيلي السابق يحكي إقدام (ابن عرس) إقدام الأبطال في داره، وله مشهد تمثيلي آخر بطله السنور قال فيه(٢): (الخفيف)

وأقـــام الســـنـــور فيـــه بشـــرّ ... يســـأل الله ذا الـعُـــلا والجـــلالهْ
أن يـــرى فـــأرا فلـــم يـــرَ شيئـــا ... ناكســـا رأســـه لطـــول الملالـــهْ
قلـــت لمـــا رأيـــته ناكـــس الـــرأ ... س كئيبـا يمشـي علـى شـرَّ حالـهْ
قلـــت صـــبرا يانـــازُ رأس الســـنا ... نيـــر، وعللتـــه بحســـن مقالـــــه
قـال:لا صـبر لـي، وكيـف مقـامي ... فـــي قفـــار كمثـــل بيـــد تَبَالـــهْ

مشهد تمثيلي مليء بالحركة ومشاعر البؤس فأبو الشمقمق أسقط خيبته وأسفه لفقره على السنور فشعور الخيبة هو السائد على الصورة فالسنور الناكس الرأس وتوجهه للدعاء فلا أمل ولا رجاء بهذه الدار ولا بصلاح الحال، ويحتدم الموقف وتظهر عقدة المشهد بالحوار الذي أداره الشاعر بينه وبين السنور حين قرر الأخير الرحيل ليقنعه الشاعر بالبقاء ويصر السنور على الرحيل فالدار قفر، ظهرت بهذا المشهد القيمة الفنية قوية وخلقت تفاعلا وأحدثت شعور التعاطف مع الشاعر الفقير "فالصورة تعطي قيمة وتخلق جوا وتنقل انفعالا"(٣).

كذا ترافق السخرية أبا الشمقمق حتى في غرض الاستجداء فعلى حين يختار الشعراء المدح مقدمه لطلب العطاء، فقد اختار أبو الشمقمق صورة متحركة ساخرا من فقره بقوله(٤) (الكامل).

رَحَـلَ المطـيَّ إليك طـلاب النـدى ... وَرَحـــلتُ نحـــوك ناقـــةً نعليَّـــهْ
إن لـم تكـن لـي يايزيـد مطيّـةٌ ... فجعلتهـا لـيَ فـي السَّـفار مطيـهْ
تخـدي أمـام الـيعملات وتغتلـي ... فـي السير تترك خلفها المهريـة(٥)

(١) إسماعيل: عز الدين (د.ت) التفسير النفسي للأدب، دار العودة ودار الثقافة، بيروت، ص٤٤.
(٢) الديوان، ص٤٨.
(٣) شريم: جوزيف (١٤٠٧-١٩٨٧)، ص٦٧.
(٤) الديوان، ص٩٦.
(٥) تخدي: نوع من سير الناقة. اليعملات: النوق السريعة.

وإذا ركـبت بهـا طريقـا عامـرا تتسـاب تحتـي كانسـياب الحيَّـةْ
ولقـد أتيتـك واثقـا بـك عـالمـا أن لسـت تسـمع مِدْحـةً بنسـيّهْ

فقال الممدوح صدقت يا شمقمقي ولست أقبل مدحة بنسيئة، أعطوه ألف دينار[١]. الشعراء طلاب الندى عادة يصفون المشاق برواحلهم وهم يغذون السير للممدوح، وهنا أبو الشمقمق رحله هو نعله وصور سرعة حركتها وتفوقها بالسير على النوق السريعة ساخرا بفنية مؤثرة بجمالها حتى استحسن الممدوح هذه الصورة التمثيلية الساخرة وقدم له المكافأة التي يستحقها.

أسلوب السخرية هو الموال الذي رافق أبا الشمقمق في ديوانه تارة بالمشاهد التمثيلية بأبيات متتابعة، وتارة ببيت واحد يفصح عن معانٍ ومشاعر بصورة قوية و"الصورة القوية ما تتجاوز بالعقل معناها الحرفي إلى معانٍ أخرى مجازية أو غيرها"[٢] ومن هذه الصور القوية قوله[٣]: (الطويل)

ألا ربّ برغـوث تركـت مجـدلا بـأبيض ماضـي الشـفرتين صـقيلِ

صورة غزيرة المعاني ببيت شعري واحد عبرت عن انعزاله ساحات المعارك، وعن حسرته على قلة حيلته، وعلى فراغه من مهام الرجل العربي في زمانه وفراغ داره من الطعام ومن أبسط أسباب الحياة، فليس حوله إلا البرغوث يتصارع معه ويعلق انتصاره بأظافره التي شبهها بشفرة السيف الصارم أي حسرة تتقد في نفسه البائسة!

وحول هذا المعنى وهو بعده عن ساحات الشهامة والإقدام، توجه إلى الله بالشكوى وبأسلوب السخرية فقال[٤]:

فـإلي اللهِ أشـتكي وإلـى الفضـ ـل فقـد أصـبحت بُزاتـي دجاجـا

حسن التعليل: عاش أبو الشمقمق في آخر العصر الأموي وفي العصر العباسي ورافق الشعراء الكبار فلديه ثقافة لغوية وذهنية تسلح بها في موضوعاته، ومحاولة الربط بين شعره وشخصيته سهله وبالنظر في ذلك يتبادر للذهن عبارة النقاد (الأسلوب هو الرجل)[٥]، فهذا الشاعر ساخر حاضر البديهة يصف بدقة متناهية ويعلل بصور فكاهية كما في قوله[٦]: (الوافر)

فأنـتَ إذا أردت دخلـت بيتـي عليّ مسلماً مـن غيـر بـاب
لأننـي لـم أجـد مصـراع بـاب يكـون مـن السـحاب إلـى التـراب

(١) الديوان، ص٩٧، والنسيئة البيع بتأخير الدفع.
(٢) الشايب: أحمد (١٤٠٨-١٩٨٨)، ص٩٥.
(٣) الديوان، ص٨٠.
(٤) الديوان، ص٣٤.
(٥) الشايب: أحمد (١٤٠٨-١٩٨٨)، ص١٢١.
(٦) الديوان، ص٢٧.

الحال مبكية والتعليل يضحك ويبكي فقد عبر عن أنه لا يملك بيتا فالداخل عليه يجده ماثلا أمامه والسبب أنه لم يجد بابا بين السماء والأرض.

وله في حسن التعليل قول مؤثر دفع عن نفسه التهمة حين قال[١]: (الكامل)

ما كان منـدقُّ اللـواء لريـبة تخشـى ولا سـوء يكـون معجُّـلا[٢]

لكـن هـذا الـرمح أضـعف متنـه صـغرُ الولايـة فاسـتقل الموصـلا

لما أندق لواء الوالي تطير من أبي الشمقمق فعالج الموقف بظرفه وخلص نفسه بحسن التعليل فاللواء اندق متطلعا لهمة الوالي العالية بالانتقال إلى الموصل.

الاقتباس:

أخضع أبو الشمقمق الأساليب البلاغية في سخريته وأجاد بتوظيفها بالصورة وبحسن التعليل وكذلك في الاقتباس، ومن جميل صور الاقتباس عنده ما جاء في هجاء بخيل بقوله[٣] (الخفيف)

وإذا خبـــزُهُ عليـــه سيكفيـــ ـــكهم الله مـا بـدا ضـوء نجـم

"فسيكفيكهم الله" (سورة البقرة، ١٣٧) هنا وظف الشاعر الاقتباس الديني مع الآية في موضع الهجاء ساخرا ومضحكا وموحيا بشدة بخل المهجو.

ومن الاقتباس العلمي قوله متحسرا على حاله وتقوقعه في داره[٤] (مجزوء الرمل)

صِـــرتُ كالخفـــاشِ لا أبـــ ـــصِرُ فـــي ضـــوء النهـــارِ

هنا يشبه نفسه في فكرة علمية "الخفاش ضعيف قوي البصر، لا يظهر في الظلمة لأنها تكون غامرة لضياء بصره، ولا يظهر نهارا لأن بصره يلتمع في شدة بياض النهار[٥].

كما اقتبس معلومة اجتماعية قال فيها[٦] (الطويل)

وليس على باب ابن إدريس حاجب وليس على باب ابن إدريس من قفل

طربـتُ إلـى معـروفـه فطـلبتـه كما طربت زنج الحجاز إلى الطبلِ

قال مادحا ومتطلعا إلى عطاء الممدوح وكله ثقة وشعور غامر بالطرب والفرحة كطرب الزنوج فهم مخصوصون بالطرب من بين الأمم[٧].

---

(١) الديوان، ص٧٢.
(٢) الديوان، ص٨١.
(٣) فدح الوالي خالد بن يزيد إلى الموصل ومعه أبو الشمقمق، فاندق لواء خالد فتطير من أبي الشمقمق مخلص نفسه بحسن التقليل ثم سري عن خالد وأعطي أبا الشمقمق عشرة آلاف درهم (الديوان ص٨١).
(٤) الديوان، ص٤٣.
(٥) الجاحظ: أبو عثمان بحرا، الحيوان، جـ ٣/ص٥٢٧.
(٦) الديوان، ص٧٢.
(٧) الديوان، ص٤٣

الاقتباس في الشواهد السابقة يشي بالثقافة التي يتحلى بها أبناء الطبقة الشعبية وخير من يمثلها الشاعر أبو الشمقمق، فهو فقير وله تواصل مع شعراء عصره واتصل بأهل الكرم وعانى من البخلاء وشعره صور ثقافته في بيئة فقيرة حرمت المال لكن لم تحرم العلم والثقافة.

تفاوت أسلوب أبي الشمقمق بين القوة والضعف:

القراءة الأسلوبية لديوان أبي الشمقمق والنظر في الأساليب اللغوية والبلاغية السائدة فيه تعين في فهم موقفه من حياته الخاصة والحياة الاجتماعية للطبقات الشعبية، ووصف أسلوبه أحد النقاد القدامى فقال: "كان أبو الشمقمق ربما لَحَنَ ويهزل كثيرا، ويجدّ فيكثر صوابه"[١] وهذه النتيجة التي وصل لها هذا البحث فله الشعر الراقي الموحي المؤثر وله الشعر الضعيف لمآخذ عليه ومن هذه المآخذ السهولة المبتذلة، ومنها كثرة الألفاظ البذيئة، والهجاء المقذع الذي يحسن استبعاده في الدراسات النقدية والأدبية.

ديوان أبي الشمقمق صورة حية لشخصيته ولفكره ولحياته الاجتماعية، فصور أحزانه وآلامه، وتميز بطرق الاستجداء وهذا يحمد له – وكان من أشهر سبل الاستجداء هجاؤه للشعر وابتزازهم بهجاء فاحش ليعطوه مدارة لسلاطة لسانه وفحش شعره بهذا الموضوع يمنع ذكر الشواهد، كما أجاد أبو الشمقمق في تنويع أسلوبه بحسب الغرض فحين أراد استجداء (بشار بن برد)[٢] قال شعرا على لسان الصبيان[٣]: (مجزوء الرمل)

سبع جوزات وتينهْ فتحوا باب المدينهْ

إن بشار بن بردٍ تيس أعمى في سفينهْ

وله أيضا مشاركات مؤثرة على مستوى الولاة، إذ قال مادحا والي سابور[٤]: (الكامل)

الجود أفلسهم وأذهب مالهم فاليوم إن راموا السماحة يبخلوا

حضر أبو الشمقمق إلى هذا الوالي وعنده مستوفي الخراج الذي سمع مدح أبي الشمقمق للوالي فأعجب به وأسقط الخراج عن الوالي، مما يدل على تفاعل أبي الشمقمق مع المجتمع وتأثير شعره على مستوى الولاة فلم يكن حكام بني العباس بعيدين عن الطبقة الشعبية.

ولأبي الشمقمق أبيات نوع فيها بالأساليب وبالصور لكنها كانت سهلة وغير مؤثرة إذا لم يوفق فيها، في مثل قوله[٥] (مجزوء الرمل)

(١) المبرد: أبو العباس محمد بن يزيد (د.ت) الكامل في الأدب، مؤسسة المعارف، بيروت، ص٢٤.
(٢) الشاعر العباسي المعروف.
(٣) الديوان، ص٩٢.
(٤) الديوان، ص٨٢.
(٥) الديوان، ص٤٣

ولقـــــد أهزلـــــتُ حتـــــى محـــــت الشـــــمس خيـــــالي
لـــــيس لـــــي شـــــيء إذ قيـــــ ـــــل لمـــــن ذا قلـــــت ذا لـــــي
ولقـــــد أفلســـــت حتـــــى حـــــل أكلـــــي لعيـــــالي

وله في الهجاء أبيات لم ترق لأسلوبه في غالب الديوان حيث قال(١):

(السريع)

الصـــدق فـــي أفـــواههم علقـــم والإفـــك مثـــل العســـل المـــاذي
وكلّهـــم فـــي بخلهـــم صـــادق وفـــي النـــدى لـــيس بأستـــاذِ

معاني سهلة وواضحة فيها صورة وموازنات لكن خالية من الروح الفنية، وهذا مما يدل على تفاوت مستوى شعره بين القوة والضعف.

الخاتمة:

توصل البحث إلى نتائج أهمها:

١-مثل ديوان أبي الشمقمق الشعر الشعبي في العصر العباسي.

٢-لغة الشعر الشعبي هي اللغة الفصحى لا تقل في مستوى الفصاحة عن الشعر الرسمي الذي يلقى في مجالس الخلفاء.

٣-موضوعات الشعر الشعبي هي الموضوعات التقليدية مدح ووصف وهجاء وتفصح عن حياة الطبقة الشعبية.

٤-نوع أبو الشمقمق بين الأساليب الخبرية والإنشائية، وكذلك نوع بالأساليب البلاغية في كل موضوعاته الشعرية.

٥-وصف أبو الشمقمق داره ومظاهر فقره بدقة فنية وبأسلوب ساخر وهو يمثل حياة الطبقة الشعبية في زمانه.

٦-صورة ديوان أبي الشمقمق موقفه من الظواهر السلبية، في المجتمع مثل البخل والثقلاء.

٧-نوّع أبو الشمقمق في أساليب الاستجداء بين المدح وهو الأسلوب التقليدي وابتكر فكرة الاستجداء بالسخرية من فقره.

٨-ظهرت عند أبي الشمقمق فكرة استجداء الشعراء بهجائهم ثم يعطونه مداراة لفاحش شعره.

٩-أساليب ديوان أبي الشمقمق تكشف أنه من أصحاب الكدية وهم يمثلون ظاهرة اجتماعية في العصر العباسي.

١٠-تفاوت أسلوب ديوان أبي الشمقمق بين القوة والضعف.

(١) الديوان، ص٧٧.

التوصيات:

١-الصورة الفنية موحية مع بساطة أسلوبها في ديوان أي الشمقمق، فتحتاج إلى دراسات نقدية حولها.

٢-في ديوان أبي الشمقمق مادة كبيرة فيه أسلوب الموازنة للتعريض تستحق الدراسة.

المصادر والمراجع:

ابن خلدون عبدالرحمن (د.ت)، المقدمة، دار البيان، ط١.

أبو العدوس، د. يوسف (١٤٢٧-٢٠٠٧)، الأسلوبية، دار المسيرة، عمان، الأردن.

إسماعيل: عز الدين (د.ت) التفسير النفسي للأدب، دار العودة ودار الثقافة، بيروت.

الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر، الحيوان، تحقيق عبدالسلام هارون، دار الجيل، بيروت، ج٣.

ديوان أبي الشمقمق، جمع وتحقيق وشرح: د. واضح الصمد، دار الكتب العلمية، بيروت.

الشايب: أحمد (١٤٠٨-١٩٨٨)، الأسلوب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

شريم، جوزيف ميشال (١٤٠٧-٩٨٧)، دليل الدراسات الأسلوبية، المؤسسة الجامعية، بيروت.

فضل: د. صلاح (١٤٠٥-١٩٨٥)، علم الأسلوب، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١.

المبرد: أبو العباس محمد بن يزيد (د.ت) الكامل في الأدب، مؤسسة المعارف، بيروت.

نصار: حسين (١٤٠٢-١٩٨٢)، الشعر الشعبي العربي، دار الرائد العربي، بيروت، ط١.